سلسلة الآثار الكاملة - ٢٨-

الأخلاق

للشباب والطلاب والناشئة

الشهيد الدكتور علي شريعتي

تعريب

موسى قصير

حقّقه وحرّره للنشر

محمد حسين بزي

دار الأمير

الأخلاق

للشباب والطلاب والناشئة

إسم الكتـاب	:	الأخلاق للشباب والطلاب والناشئة
إسم المؤلـف	:	د. علي شريعتي
إسم المترجم	:	موسى قصير
تنضيد وإخراج	:	محمد شراد الناصري
تصميم الغلاف	:	بشير محمد
الترقيم الدولي	:	ISBN 978-9953-494-21-0
الطبعة الأولى	:	١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م
الطبعة الثانية	:	١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م (بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)
الناشـــر	:	دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

كافة الحقوق محفوظة ومُسجّلة قانونياً للناشر بالإتفاق مع ورثة المُؤلف

التوزيع في العراق:
دار الباقر ـ النجف الاشرف هـ: 07801263579

دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 49 64 27 1 961+
ص.ب: 113/5551 الحمرا ـ بيروت ـ لبنان

Website: //http:/www.daralameer.com
E-mail: daralameer@daralameer.com

مؤسسة نشر آثار
الدكتور علي شريعتي

تلفاكس: 2232729 21 98+
ص.ب: 6516-19395 طهران
www.shariati.com

وتستمر دار الأمير ...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكّت مقرّ دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهرٍ معدودةٍ من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: **إلهي علمني كيف أحيا . . ، أمَّا كيف أموت، فإني سأعرفه**. والحمد لله الذي نصر عبده.

محمد حسين بزي

مقدمة الناشر

إلهي علمني كيف أحيا..؟
أما كيف أموت فإني سأعرفه.

بهذه الكلمات المشكاة إفتتح علي شريعتي رسالته التي بعثها من سجنه لطلابه عام ١٩٧٥م.

نعم، خاطب المولىٰ الكريم ودعاه أن يعلمه فن الحياة ـ المنهج ـ، خاطبه سبحانه أن يعلمه كيف يحيا بعشق حتى لا يكون الموت إلاَّ محطةً لا تؤرق مسيرته نحو اللّه من خلال الحياة ـ الناس ـ، طريق اللّه سبحانه عند شريعتي حتميّ المرور بالناس، لا بل لا يدرك الطريق ولا يستقيم إلاَّ بالناس ـ البلاغ والمسؤولية ـ.

بالأمس القريب أخبرني صديق صدوق يُدرس في إحدى جامعات دولة الإمارات العربية المتحدة، أخبرني

عن حادثة كانت بمثابة بلاغ في المبنى مسؤولية في المعنى وهي:

أنَّ أحد الأساتذة في علم الإجتماع باليابان يدرِّس طلابه علم المنهج، وقد اتخذ هذا الدكتور الياباني من علي شريعتي كمنهج المادة الأساس، مما إستدعى نقل الكثير من بحوث شريعتي للغة اليابانية حتى يتسنى للطلاب درسها كمادة ـ نموذج ـ في علم المنهج.

يا الله كم كانت رائعة وكم كانت سهلة مواءامات شريعتي بين طريق اللَّه وطريق الناس، حتى اصبحت مواءامات الأمس حقائق اليوم حتى عند الياباني البوذي..!

أحياناً يكون العمر من جنود اللَّه إضافة للرجال..!

العمر الذي عاشه شريعتي لم يتعدى ٤٤ سنة..!

أربعٌ وأربعون عاماً ولم ينتظر جزاءً ولا شكورا... إلاَّ من ربٍ رحيم... أربعٌ وأربعون عاماً كان ينتظر فيها المصيبة في كل آن.. وهو القائل في وصيته المشهورة:

يجب عدم النظر إلى أعمالي على أنها أعمال علمية تحقيقية فحسب، بل يجب أن نتلقاها كصرخات من شدة

الألم والأسىٰ، ودلائل بإتجاه الطريق، وهزّات من أجل الصحوة، ومشاعل على الطريق، ونظرات كليّة في إطار الدين ودعوة واحدة ورؤى، وأخيراً نوعاً من التعبئة الفكرية والروحيّة في المجتمع.

كل ذلك كتبته وأنا منفّى وتحت ظروف ضاغطة، ومؤمرات محاكة، وفي حالٍ كنت أنتظر فيها المصيبة في كل لحظة....

وأترك للقارىء فهم ما قصدت، والسلام

محمد حسين بزي
بيروت ٧/ ٢/ ٢٠٠٦م

مقدمة التعريب

في كتابه هذا قام الدكتور علي شريعتي باستعراض عدة مفاهيم أخلاقية وشرحها بأسلوب عملي مبسط وجريء وذو مغزىً أحياناً، لأنه ألّف الكتاب في عهد الطاغوت البهلوي، وأراد أن يدرّس هذا الكتاب في المدارس للناشئين في الصفوف ٤و٥و٦ الابتدائية. وبالفعل استطاع أن يحرر من خلاله روحه الثائرة وصراحته وتمرده ليساهم من خلاله في انضاج الجيل الذي حقق الثورة عام ١٩٧٩م وانتفض علىٰ واقعه الفاسد. وقد طبع منه عشرات الطبعات حتى الآن، فصحيح أنه لم يعد يدرس في المدارس، وحلّت مكانه المناهج الجديدة، لكنه مازال متداولاً بين الكبار والصغار لأسلوبه المتميز في طرح الفكرة ومعالجة المشكلة، ونظراً لحاجة المجتمع العربي لمثل هذا الأسلوب وتعطشه لنسماته قام الأستاذ

محمد حسين بزي صاحب دار الأمير مشكوراً بطبع ترجمته العربية، عسىٰ ان ينتفع به جيلنا الصاعد، وينال المؤلف والمُعرّب والناشر به أجراً أخروياً جزيلاً من رب كريم، والحمد لله رب العالمين.

موسى قصير

ما هي الأخلاق؟

عندما تأخذ بيد أعمىٰ، وتأخذه من جانب الطريق لتصل به الىٰ الجانب الآخر؛ ألاّ يسرّك ذلك؟ وعندما ترىٰ طفلاً في زقاق قد أضاع أمه وأخذ يبكي، فتأخذ بيده حتى تسلّمه لأمه؛ ألاَ يفرح ذلك قلبك؟ لماذا هل تدري لماذا؟ فذلك الضرير أو تلك الأم لم يقدما لك العون من قبل، ولم يدفعا لك مالاً لقاء ما فعلت، ولا يعرفانك حتىٰ ينوهان باسمك، فلماذا أنت مسرور الىٰ هذا الحد بما قدمت؟

عندما تمتلك المال تفرح لأنّ في نفسك جانباً يحب المال. وعندما نجد أنّ الجميع يتحدث عنك وينوّه باسمك فإنك تفرح أيضاً لأن جانباً من نفسك يحب المديح والظهور. لكنك عندما تساعد ذلك الضرير أو تلك الأم لن يراك من يعرفك لينوه بذلك، ولا من يدفع لك المال مقابل

١٢ ـــــــ

علم الأخلاق:

عندما يقول أحد ما إني أحب فعل الأعمال الحسنة، ولا أريد فعل السيئات، لكني لا أدري ما هي الأعمال الحسنة وما ينبغي فعله، ولا ما هي الأعمال السيئة ومالا ينبغي فعله؛ فمعنىٰ ذلك أن هذا الشخص يمتلك قوة أخلاقية أو وجداناً.

لكنه يفتقر الىٰ أمر آخر وهو علم الأخلاق، فعلم الأخلاق هو الذي يبين لك ما هي الأعمال الحسنة التي ينبغي القيام بها، وما هي الأعمال السيئة التي ينبغي تجنّبها.

إذاً يمكن القول أن علم الأخلاق هو العلم الذي يعرفنا ما هي الأمور الحسنة وما هي الأمور السيئة.

١٤ ـــــــ

باللذة جرّاء القيام به. فعندما ترىٰ مريضاً فقيراً فإنّ وجدانك يجبرك علىٰ فعل الخير. وعلم الأخلاق يقول لك: أخذه الىٰ الطبيب وشراء الدواء له عمل حسن. والواجب الأخلاقي يدفعك لأخذه والصرف عليه من مالك الخاص دون أن تتوقع من أحد أجوراً علىٰ ذلك أو تعويضاً.

واجب الإنسان الأخلاقي تجاه الله:

عرف الناس الله منذ آلاف السنين، ومنذ أن عاش الإنسان في الكهوف والغابات كالحيوانات. ومع أنه كان يقضي ليله ونهاره في تسلق الأشجار ومطاردة الحيوانات الضعيفة، لكنه كان يرتقي أحياناً القمم العالية ليناجي ربه ويعبده.

وعليه يمكن القول أن الحاجات الأساسية للإنسان منذ بداية حياته كانت: الطعام، المكان، الله، الزوج. ولما كان الفكر البشري محدود وغير متطور، فإنّ طعامه ومكانه ولباسه لم يكن علىٰ حاله الفعلي، فإن إلهه الذي كان يعبده لم يكن كالإله الذي نعبده اليوم. فكان بسبب جهله يعبد النجوم والشمس والميت والنار والماء أحياناً،

وكان يعدّ لنفسه أحياناً أخرىٰ صنماً من الثمر او الخشب او الحجر او الذهب أو الفضة ويتّخذه إلهاً له.

أما الإنسان المعاصر فقد عثر علىٰ إلهه الحقيقي، وعين لنفسه واجبات عليه تجاه ربه، وكل من يمتلك تلك القوة الأخلاقية عليه أن يؤدي تلك الواجبات.

وأول واجب علينا هو أن نعتقد بأن الله هو خالق كل ما هو موجود، وأن ليست هناك قوة أخرى تحكم هذا العالم سواه، وأنه ليس له شريك ومعين، وأن جميع الأنبياء والأئمة والناس جميعاً هم عباد له. وأن يكون أحب الناس إلينا اكثرهم تقوىٰ وعلماً، لأن الله يحب عبده هذا أكثر من غيره.

والواجب الثاني أن لا نعبد أيّ أحد وأيّ شيء سوىٰ الله، وأن نستمد العون في كل الأمور منه وحده، وأن نعمل بأوامره التي أبلغنا إياها عبر النبي المرسل منه، وأن لا نتوانى عن خدمة الناس كسباً لرضاه.

واجب الإنسان تجاه نفسه:

ليتمكن الإنسان من العيش وتحصيل اللذة من عيشه

هذا تقع على عاتقه واجبات تجاه نفسه، وإن لم يؤدي تلك الواجبات يكون سيره مخالفاً للأخلاق.

والإنسان مركب من قسمين: أحدهما البدن وهو عبارة عن اليد والرجل والبطن والصدر وسائر الأعضاء المختلفة الأخرى، وعلىٰ الإنسان أن يحافظ علىٰ جميع أعضاء بدنه.

الآخر هو الروح والفكر وهما أهم من البدن بكثير، وقيمة كل إنسان بروحه وفكره. فعندما نتناول فاكهة حلوة تحسّ باللذة، وبدنك هو الذي يدرك هذه اللذة لأن حبة الفاكهة قد وردت عليه وهي غذاؤه.

وعندما تتعلم درساً بشكل جيد، وينوّه بك زملاؤك وأساتذتك ووالديك؛ فإنك تشعر باللذة أيضاً. لكن هذا التنويه يختلف عن تلك الفاكهة التي دخلت الىٰ معدتك، والتنويه قد دخل الىٰ روحك وفكرك، وقد سرّا بوروده عليهما، فانعكس ذلك سروراً عليك.

إذاً فإن واجباتنا تجاه أنفسنا تنقسم إلىٰ قسمين ايضاً: واجبات تجاه أبداننا كالنظافة والطهارة وهما أكبر واجبين

١٨ ـــــــ

يعمل سيضعف تدريجياً ويصيبه العطب، خاصة بالنسبة للأناس الذين يزاولون الدراسة والأعمال الفكرية، وعليهم أن يجلسوا في أماكنهم لمدة طويلة، وعليهم أن يمارسوا الرياضة بشكل يومي لتقوىٰ بذلك أبدانهم، وقد جاء في الحديث «العقل السليم في الجسم السليم» ومن كان مريضاً دوماً لا يمكنه أن يخدم أسرته ودينه ووطنه، وليس له قيمة في مجتمعه.

وهناك واجب آخر علىٰ الإنسان تجاه روحه، حيث لا يكفي أن يكون الإنسان نظيفاً ونشيطاً، بل لابد أن تتقدم أخلاقه ويتطور فكره أيضاً، ومن أجل أن تتطور أخلاقنا وأفكارنا علينا أن نغذي أرواحنا تماماً كما نغذي أبداننا، وغذاء الروح هو أدب المعرفة والتضحية وعبادة الله وسائر التعاليم الأخلاقية. لذلك علينا أن نقضي كل يوم عدة ساعات في مطالعة الكتب الجيدة، وأن نتلقىٰ العلم والمعرفة تحت إشراف معلمينا، وأن نتلقىٰ دروس الأخلاق وحب الأوطان وعبادة الله.

إذاً فالإنسان الكامل هو الإنسان النشيط والعابد لله والمؤدب والمتعلم والمحب للناس.

٢٠ ـــــــ

ماذا فعل الوالد؟

الوالد يعمل ويشقىٰ ويتحمل في الليل والنهار الصعاب والمصائب ليؤمن لنا معيشتنا، يؤمن الطعام والبيت للسكن، يأتينا بالملابس والدواء والأثاث بعرقه ودمه لنتمكن من العيش براحة ونترعرع وندرس ونضحي إنساناً ذا قيمة ومفيد، لنتمكن من الانطلاق في حياتنا بسهولة. كل ما يبذله من جهد لأجل أن نعيش براحة، وليس من أحد غيره يتحمل كل تلك العناءات من أجلنا دون أن نقدم له أي أجر أو جزاء.

إذاً فللوالدين أعظم الحق علينا، فضميرنا يأمرنا أن نحترمهما، وأن نؤمن ما يسعدهم، وأن نصغي لكلامهم، وأن نساعدهم قدر استطاعتنا، لأن من واجبنا خدمتهما خاصة عندما يدب فيهما الوهن والعجز، وواجبنا الأخلاقي أن نبذل لهما كل ما بوسعنا دون تقصير، فالله

٢٢ ـــــــ

حب الوطن

إذا أخذت طيراً من موقعه لتحتفظ به علىٰ بعد عدة كيلومترات ولعدة أشهر تجد أنه بمجرد أن تحين له الفرصة سيفر ويعود إلىٰ موطنه. وإذا أخذت جدياً للذبح من بين رفاقه في الصحراء ووضعته عدة أيام في بيتك؛ تجده يصيح دوماً، ولا يأكل بشكل جيد، ولعله يهزل شيئاً فشيئاً، فهذا الجدي يحنّ الىٰ صحرائه وذلك الطير يحنّ الىٰ عشّه ويحب كل منهما أن لا يبتعدا عن موطنهما.

والانسان بدوره يحب موطنه، فعندما تعيش لسنوات مع والديك في بيت أو مدينة ما، فإنك تغتم عندما تريد مغادرة ذلك المكان واستبداله. والوطن هكذا فهو الأرض التي عاش عليها وفيها الأباء والأمهات لعدة قرون، وقضوا عليها، عمروها وقاتلوا الأعداء والمعتدين وقدموا دماءهم لصونها وسالت دماؤهم عليها لتروي ترابها، ونحن بدورنا شربنا ماءها وأكلنا من ثمار أشجارها وترعرعنا في ربواتها

٢٤ ـــــــ

الدين الأسدآبادي (الأفغاني)[١]، والأمير الكبير، وخرّج علماء وشعراء كبار اشتهروا في العالم من أمثال: الفردوسي وحافظ والخيام وسعدي وأبو علي سينا والمولوي وغيرهم حيث نفخر بهم أينما توجهنا. فمن الطبيعي أن نحب أرضنا المقدسة هذه بقلوبنا وأرواحنا، وأن نسعىٰ لصيانتها وتقدمها، وأن لا نرضىٰ بالعيش والحياة عندما يطمع الأعداء بها ويطؤونها، بل أن نحفظ استقلال الوطن وعزته وتقدمه بأرواحنا.

وجاء عن نبي الإسلام ﷺ قوله: «حب الوطن من الإيمان».

---

(١) الأفغاني ـ الأسد آبادي (جمال الدين) ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م: فيلسوف الاسلام في عصره، وإليه تعزى حركة التنوير التي ما زالت آثارها إلى اليوم. دعا الى الوحدة الإسلامية وجال في الشرق والغرب داعياً إلى الوحدة التي كانت شغله الشاغل، تلّمذ على يديه العديد من العلماء والمفكرين أبرزهم الشيخ محمد عبده الذي أصدر معه مجلة العروة الوثقى في باريس ١٨٨٤م. ألّف العديد من الكتب القيمة في العرفان والسياسة والفلسفة وطبعت عدة طبعات لا تخلو من فوات، كان آخرها ـ الأعمال الكاملة للآفغاني ـ التي اشرف عليها وحققها السيد هادي خسرو شاهي وصدرت عن دار الشروق في مصر العام ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م ورغم الفوات الملحوظ فإنها أفضل الطبعات لحد الآن.

دار جدل كبير في أصله ـ أفغاني ـ أسد آبادي . . .؟ وعلى أي حال، مولده فإن السيد جمال الدين لم يزل منارة للتنوير والنهضة. «الناشر».

٢٦ ـــــــ

تعالىٰ في القرآن: ﴿**يا أيها الناسُ إنّا خلقناكمْ منْ ذكرٍ وانثىٰ وجعلناكمْ شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنّ اكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ**﴾ (الحجرات/ ١٣).

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدمُ من تراب، إنّ اكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ، لا فضلَ لعربي علىٰ عجمي إلاّ بالتقوىٰ»[1] وفي حديث آخر فلا يظلمن أحدكم أخاه.

ويقول الشاعر سعدي الشيرازي:

لا تحطم قلب من هو تحت إمرتك
فقد تكون يوماً ما تحت إمرته

ويروىٰ أنه كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام خادماً أو عبداً اسمه قنبر فكان أمير المؤمنين عليه السلام يساويه في الطعام والملابس والبيت، فكان يشتري قطعتي لباس لهما ويقدم لخادمه أفضلهما ويرتدي الأخرىٰ.

---

(١) نهج الفصاحة، أبو القاسم پاينده، الحديث رقم ١٠٤٤.

٢٨ ـــــــ

المتقي يهتم دوماً بذكر الله ومصالح الناس والوطن متناسياً نفسه، لا يلهث وراء المال والراحة والدعة. إذا رأىٰ الناس في عناء لا يمتلكون قوت يومهم ويئنّون من ظالم مستبد ويتألمون؛ لا يرضىٰ بالبقاء في بيته ليأكل اللذيذ وينام الوثير مرتاح البال. فالمتقي يعتبر نفسه شريكاً مع أبناء وطنه في أفراحهم وأحزانهم.

أمير المؤمنين عليه السلام رغم علو منزلته وشأنه؛ كان يعمل من أجل الآخرين حتى اليهود منهم، يسقيها بساتين النخيل من ماء الآبار، ويحفر القنوات بيده. وزوجته وإبنة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تطحن الشعير بالمطحنة اليدوية وتعجن وتخبز.

والدكتور غاندي زعيم الشعب الهندي ترك خلفه بعد موته غرفة واحدة وزوج حذاء خشبي وإناء خشبي ونظّارة، وكان لباسه قطعة قماش وطني يلفها حول جسمه.

نحن نقرأ التاريخ لنتعرف من خلاله علىٰ المتقين ونعمل علىٰ اتباعهم والعمل بسيرتهم. لقد قرأتم وسمعتم عدة مرات قصة واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وظلم يزيد وعمر بن سعد وعدم تقواهم. هل تعلمون

سبب كل تلك الجرائم التي ارتكبها عمر بن سعد وسفكه للدماء في كربلاء، ولماذا تحمّل كل ذلك العار والإجرام؟ لقد فعل كل ذلك من أجل أن يصبح والياً على الري (طهران الحالية وجوارها) والآن قارنوا بأنفسكم بين ما فعله ذلك السفاح من سيرة أولئك المتقين، عندها ستدركون حقاً أن أحب الناس وأعزّهم وأكرمهم هم أكثر تقوىٰ.

قال الشاعر سعدي:

كن تقياً فربّ السّما جعل الفردوس مقراً للمتقي

حفظ السر وكتمانه

السرّ هو الكلام الذي يخفيه الإنسان في قلبه، ويمتنع عن إعلانه والبوح به، لأنه يحتمل الضرر إذا نطق به وعلم به الآخرون، لذلك قد يبوح به الىٰ من يعتبره كأخيه أو أقرب منه وأعزّ، والىٰ من يطمئن إليه كثيراً ويعلم أنه سيحفظ له سرّه ولن يفشيه للآخرين، بل قد يقدم له العون ويخدمه. والسرّ أمانة يودعها صاحبها عندك، فلا تبديه وتجريه علىٰ لسانك، لأن إفشاءه خيانة للأمانة.

إفشاء السر:

كم من سرٍ أفشي علىٰ لسان أحد في غير محلّه، فأحدث قتلاً ومجازر ومواجهات وحنق وأحقاد كثيرة.

إعلم أنّ الذي يؤمنك علىٰ سرّه فإنه اعتبرك أعز أصدقائه وأقرب الناس إليه، فوثق بك، واعتبر نفسه

٣٢ ـــــــ

الشرف

الشرف يعني السمو والرِفعة، لكن الكثيرين في المجتمع ينعمون بالإحترام ويعدّونهم شرفاء وأشراف وكبار وعظماء من أجل أموالهم وثرواتهم أو من أجل أحسابهم وأنسابهم، أو بسبب تولّيهم لمناصب كبيرة. لكن الضمير والوجدان لا ينسب الشرف إلاّ للمتقي والمحسن والمحب للناس ولمن يريد الخير للآخرين وللحليم والمؤمن بالله مهما صغرت وتدنت ثروته، ومهما كان حسبه ونسبه.

فالأسد يزأر في الصحاري ويزمجر حتى يحصل علىٰ صيده، لكنه ما أن يشبع ويسدّ جوعه حتى يترك الباقي لغيره ويذهب في سبيله. أما الضبع فإنه يبحث دوماً عن جيفة وبقايا فريسة الأسد ويشبع نفسه من تلك البقايا.

والرجل الشريف يعيش في المجتمع كالأسد، يعمل

٣٤ ـــــــ

يتطلب منك المراهنة والتملق؛ فغض الطرف عن طلبهما. وإذا كانت الشهرة تجبرك علىٰ الخيانة كما فعل الآخرون؛ فعش مغموراً. ودع الآخرين أمامك ينالون الثروة بالكذب والخداع. ويقتنصون المناصب بالتملق والرياء. وينالون الشهرة بالخيانة والخطايا. وابقَ أنت مغموراً معدماً قانعاً، لأنك بذلك تكون قد حصلت علىٰ ثروة فقدها كل أولئك، إنها الشرف والكرامة.

وكتبت امرأة لزوجها:

(عزيزي لا تنس شرفك الذي جعلك أعظم وأسمىٰ من الملوك والأمراء، وأعلم أن الأمر السامي والمهم الذي يهبك السعادة دوماً، ويمنحك بعد الموت الفلاح والرفعة والإفتخار هو الشرف وحده، وليس المال ولا الجاه والشهرة)[1].

(١) السيدة كونا مخاطبة زوجها في ساحة الحرب.

٣٦ ـــــــ

خصماً وللمظلوم عوناً»[١] فالعدل أحد أسس مذهبنا، والعادل المطلق هو الله، ولن يتغاضىٰ عن الظالمين أبداً.

وروي عن النبي محمد ﷺ قوله: «الملك يبقىٰ مع الكفر ولا يبقىٰ مع الظلم» ويشير أيضاً أن الله يسلط الظالم تارة علىٰ الذي كان عوناً له في ظلمه للآخرين، وقد بيّن لنا التاريخ أن الظالم الذي يلطخ يديه بدماء الناس ويظلمهم كيف يبتلىٰ وتكون نهايته أسوأ.

آه المظلوم صوت الله

وأصوات المدافع لا صوت لها عند الله

فسطوة مائة ضارب بالسيف

أدنىٰ من آه امرأة عجوز[٢]

الدين الإسلامي يهتم بالعدل والقسط الىٰ درجة أنه يمنع أتباعه من ظلم الحيوانات، فها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته»[٣].

---

(١) من وصيته عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

(٢) ترجمة لشعر ملك الشعراء بهار.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

لاتـؤذ نـمـلـة وهـي تـحـمـل حـبـة
فلها نفس، والنفس تميل الى الحُسنِ[١]

وإذا سادت العدالة في بلد ما، ولم يمارس الظلم بحق أحد، فسيعيش أبناء ذلك البلد بسعادة ورفاهية، وسيتقدم البلد ويتطور بسرعة.

افـعـل مـا شـئـت لـكـن لا تـسـعَ لـلأذىٰ
فـلـيس فـي شـريـعـتـنـا ذنـب سـواه[٢]

فحافظ لا يرىٰ ذنباً في العالم سوىٰ الظلم وفقدان العدالة.

---

(١) ترجمة لشعر حافظ الشيرازي.

(٢) ترجمة لشعر حافظ الشيرازي.

النجابة

من هو النجيب برأيكم؟ النجيب هو الذي لا يصل أذاه للآخرين، فهو هادىء، متّزن، يحب الخير ويرجوه للآخرين، يحب الناس، يفرح لفرح الآخرين، وعندما يتحدث لا ينال من أحد صراحة ولا كناية، ولا يذكر الآخرين في غيابهم بسوء.

وبعض الناس ترونهم غير متزنين، يرجون الشر، نطقهم البذاءة، مؤذين وسيئين، أولئك هم الذين لم ينالوا حظاً من النجابة.

علامات النجابة: الحياء والخجل، احترام الآخرين، اللين والإتزان، الإحسان للناس وحبهم والتحبب إليهم وراحتهم منه، والإبتعاد عن الأذية،

٤٠ ـــــــ

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الىٰ أن حياء رسول الله صلى الله عليه وآله كان كحياء الفتاة. في حين لا يمكن أن يدعي أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان رجلاً خجولاً ضعيف الشخصية، فيكون ذلك نقص فيه. بل كان حياؤه عن كرم أخلاق ونجابة.

الرجل النجيب له مكان دوماً في قلوب الناس، ومن يعيش في قلوب الناس؛ فلن يموت.

٤٢ ـــــــ

من حاجتهم المعيشية، تأمرهم الأخلاق أن ينفقوا من أموالهم الزائدة لسدّ حاجة المحتاجين.

قال تعالىٰ في القرآن: ﴿**والذين يكنزونَ الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيلِ اللهِ فبشّرهم بعذابٍ أليم**﴾[1].

فمن يمتلك وجداناً أخلاقياً لا يمكنه أن يُراكم ثروته، ويرىٰ الناس من حوله لا يجدون خبزاً لسد رمقهم.

حاتم الطائي كان رجلاً عربياً كملايين العرب الأثرياء الذين عاشوا في بلاد الحجاز وماتوا، دون أن يحتفظ التاريخ بأسمائهم وسيرهم، أما إسم حاتم الطائي فقد بقي خالداً تتناقله اللألسن في العالم، وتتحدث عنه جميع كتب الأخلاق وتمجّده، وتستعرض مواقفه وأعماله، وسيبقىٰ اسمه مشهوراً مادامت الحياة باقية.

فما أحقر البخلاء الذين يضيقون خناق الحياة علىٰ أنفسهم وعلىٰ الآخرين، ويتعبون أزواجهم وأبناءهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٤.

٤٤ ـــــــ

الأمانة

الأمانة تعني العمل الصحيح والحفظ، فمن يودع مال الآخرين عنده فيحفظه ويعيده لأصحابه في وقته يسمّىٰ أميناً، لأنه حفظ الأمانة وأدّاها، فيأتمنه الجميع ويثقون به، ويكفي الإنسان قدراً وعلواً ورفعة أن يأتمنه الناس علىٰ اسرارهم وأموالهم.

النبي محمدﷺ كان قبل البعثة صادقاً وأميناً وحسن السيرة وكان الجميع يثق به ويسمّونه الصادق الأمين.

أي مجتمع تحفظ فيه الأمانات، ويطمئن الجميع لبعضهم البعض ويثقون، تكون الحياة مريحة وهادئة ووادعة وسعيدة، بشكل يصعب علينا الآن تصوره.

مع الأسف قد ندرت اليوم الأخلاق الحميدة، وقلة هم الذين يأتمرون بما يمليه عليهم الوجدان، ولهذا السبب

٤٦ ـــــــ

فقال الرجل: أي أمانة؟ ومن أنت؟

قال اللص: هذه أمانتك التي أودعتني إياها، وأنا لص.

فسأله الرجل: إن كنت لصاً فلماذا لم تذهب بكيس الذهب؟

قال اللص: أنت أودعت هذا الذهب عندي، فلم أر من المروءة أن تعتبرني أميناً ثم أخونك).

نعم إنّ الذي يودعك أمانته يكون قد اطمأن لك، وعليك أن تكون أهلاً لذلك.

٤٨ ـــــــ

وكأنه مجنون.

والغضب مرض ينغص حياة الإنسان، وعلىٰ الإنسان أن يشفي نفسه من هذا المرض من خلال التمرين. فالرجل الذي يريد أن يتطور عليه أن يكون صبوراً حليماً. أما إذا كان يغضب من كل واردة ترد عليه فلن يستقيم أمره، ولن يتطور عمله، لأن كل عمل يتطلب المثابرة، والغضب يذهب بالمثابرة.

بعض الطلاب إذا تعرض للعقاب أو لم تكن نتيجته في الامتحان جيدة تجده يغضب لدرجة تجعله يترك الدرس والمدرسة، فيبقىٰ طوال حياته محروماً من العلم والمعرفة ومفاعيلهما.

وبعض الأشخاص أيضاً يزاولون أعمالهم، حتى إذا غضبوا وثارت أعصابهم تركوا أعمالهم. في حين أنّ الحياة تتطلب المثابرة والإستمرار علىٰ الجد، وترك الغضب والحنق، ومواجهة الصعاب ببرودة أعصاب وحكمة.

عندما تريد أن تحلّ مسألة حسابية تفكر نصف ساعة ثم تحلها بطريقة أو أخرىٰ، فتحصل علىٰ الجواب. أما إذا ثارت أعصابك وغضبت وتركتها فلن تجد الحل أبداً.

العالم إذا أراد أن يخترع آلة ما تراه يعمل لعدة سنوات ليل نهار لا يبرح المختبر، ويجري فيه آلاف الإختيارات والتجارب والمحاولات وبعد كل هذا لم يتمكن من بلوغ هدفه، لكنه لم يغضب، بل قال ببرودة أعصاب: لقد اكتشفت أمراً مهماً جداً وهو أني علمت أن هناك آلاف الطرق التي لا تؤدي الىٰ اختراع هذا الجهاز.

واجب الوالدين تجاه الأبناء

علىٰ الوالدين أن يعلما أنّ ثمرة حياتهما هي إنجاب الأولاد، ومهما يعيشان سوياً في راحة وسعادة دون أن يقدما للمجتمع أبناء صالحين فسيكونان كالشجرة التي لا تثمر، لا تنفع إلاّ للحطب.

ولا يقتصر واجب الوالدين علىٰ الإنجاب فقط، بل عليهم تربية أبنائهم ليكونوا مفيدين للناس وللبلد، رجال فكر وطهارة وإيمان، لأنهم هم الذين سيديرون البلد في المستقبل، لذلك يجب أن يتربوا منذ طفولتهم ليكونوا أهلاً لذلك في المستقبل. فالإبن هو ثمرة الحياة، لكن الإبن الذي لم يتربّ والجاهل والأمي وغير المستقيم والكاذب هو ثمرة مرّة، من يأكلها يمرض، وسيتفشىٰ هذا المرض في مستقبل البلد، ويمكننا القول أن مثل هذا الإبن ليته لم يكن.

٥٢ ـــــــ

الطفل بسيرة أمه وأخلاقها وتنطبع أخلاقها وسيرتها في قلبه وروحه. لذلك قال أحد العظماء: إن نصف تقدمي وانتصاراتي في الحياة تعود لأمي.

الصحة وتعويد الطفل على النظام والترتيب وتنشيط جسم الطفل من واجبات الوالدين أيضاً، وعليهما أن يوليا ذلك جل اهتمامهما.

ولا تقتصر مهمة الوالدين علىٰ العناية بالأولاد منذ الطفولة حتى بلوغ سن الرشد والشباب، بل عليهما أن يشملانه بعنايتهما طوال حياته وخلال زواجه وعمله علىٰ أن يعاملاه كإبن راشد، وأن لا يتوانيا عن أية مصاريف وعناء لأجله، وأن لا يتخليان عنه بحجة أنه أصبح رجلاً أو إمرأة، وقد بلغ سن الرشد وله بيته وعمله، بل أن يرشدانه ويقدمان له المشورة ما بقيا على قيد الحياة، وأن لا يغفلان عنه.

الإخوة.. الأخت وأخوها

الأخت والأخ زهرتين نبتتا على غصن واحد، وتفتحتا في أسرة واحدة. ففي العالم كله لا يوجد أقرب من الأخ لأخته والأخت لأخيها. قد تقول إن الوالدين أقرب إلىٰ الإنسان من الأخ والأخت، لكن الأمر ليس كذلك، فكما قلت إن الأخت والأخ زهرتين قد نبتا من طين، والطين أوجدهما، لكن إذا نظرت الىٰ الزهرتين وجدتهما متشابهتين وأقرب إلىٰ بعضهما البعض من الطين. والأخ والأخت كتلك الزهرتين اللتين نبتتا من ذلك الطين.

عندما تصادق أحداً لعدة أشهر، فإنك وإن كنت لا تلتقيه إلاّ مرة واحدة كل أسبوع، لكن صداقتكما تتعمق وتزداد، بحيث أنك إذا لم تره في أحد الأسابيع يضيق صدرك له.

فكيف بالأخوين اللذين يعيشان منذ طفولتهما في بيت واحد، ويأكلان من مائدة واحدة، يرعاهما نفس الوالدان، كم سيكونان أقرب إلىٰ بعضهما، وكم ستكون المحبة بينهما، دماءهما ولحمهما وجلدهما من منبت واحد، وقد جاء من نفس الوالدين.

لهذا فإنّ أشد المحبة وأطهرها هي المحبة المتبادلة بين الأخوين، فكلما دللت أخت أخيها، أو أحب أخ أخته؛ فإنهما يجنيان أكبر لذة في حياتهما. يشعر بهذه اللذة من يقدّر الأخوة، ومن يحب الآخر من صميم قلبه، يحترم الأخ أو الأخت الأكبر ويطيعه، ويعطف علىٰ الأصغر ويسعده ويتعامل معه بأبوة أو أمومة[1].

(١) ومصداق ذلك زينب بنت علي عليه السلام بطلة كربلاء زينب هي التي رافقت الحسين عليه السلام منذ طفولته ولم تتركه حتى استشهاده، فكانت بحق صوت الثورة الحسينية الخالدة على مدى الدهور. زينب كانت وما زالت وستبقى المثال.

٥٦ ـــــــ

صيّرني عبداً». ولم يقل ذلك أحد بحق أحدٍ سوىٰ المعلم.

الوالدان لهما حق كبير في أعناقنا، وحقهما أنهما أوجدانا وغذيانا حتى كبرنا، ولولاهما لما وجدنا، فوجودنا من وجودهما، لكننا إذا لم نتحلّ بالمعرفة والأخلاق فلا قيمة لوجودنا هذا. يقول الشاعر:

لم تفخر هكذا بشكلك هذا
فهو لباس يرتديه كل حمار

فالحيوانات موجودة أيضاً، وتكبر وتنمو. وكذلك نحن قد أوجدنا أباؤنا وربيانا، لكن المعلم هو الذي جعلنا إنساناً، ولولا العلم والأخلاق اللذين تلقيناهما منه، لما كان هناك أيّ فارق بيننا وبين الحيوانات. فكم إنسان تراه لا يملك علماً ولا أخلاقاً تجده لا يعقل أكثر من حيوان، بل لعله أكثر وحشية من الحيوانات وأشدّ فتكاً وإيذاءاً منها وسفكاً للدماء[1].

فقيمة الإنسان بعلمه ومعرفته وفكره، وكما قال

(١) ﴿اولئكَ كالأنعامِ بلْ همْ أضلُّ أولئكَ همُ الغافلونَ﴾ (الأعراف: الآية ١٧٩).

٥٨ ـــــــ

زمالة الصف والدراسة

المدرسة كالبيت، لكن في هذا البيت تتلقىٰ روحك وفكرك الطعام ويقويان، وطعامهما هو الأخلاق والمعرفة، والذين حولك ومعك في هذا البيت ممن يتلقىٰ العلم والأخلاق والتربية والتعليم هم كإخوتك وأخواتك، وعليك تجاههما نفس ما عليك تجاه إخوتك.

عليك أن تتصرف في المدرسة بحيث يحبك الجميع، وأن يتخذوا من دراستك وأخلاقك وسيرتك أسوة لهم. إسع أن لا تؤذي أياً منهم طوال مراحل دراستك، وبحيث يمكنك القول أن أخلاقي في رقي. لا تسخر أبداً من الطالب الأضعف منك درساً، فذلك يزرع العداء لك في نفوس الآخرين، ويعتبرونك منحطاً دون تربية، وأناني ومتكبر. وإذا استطعت أن تكسب محبة الجميع، في صفك، فستكون موفقاً هكذا في حياتك

٦٠ ـــــــ

تعلّم المعرفة والفنون

العلم هو أطهر وأقدس الأشياء في العالم، فعندما تقارن الإنسان بالحيوان لا تجد بينهما فرق في الظاهر، فكثير من الحيوانات أقوىٰ من الإنسان جسدياً، ويبدو الإنسان أمامها صغير وضعيف الىٰ درجة، فلماذا يا تُرىٰ يعدّ الإنسان أعظم مخلوقات العالم؟

لأنه يفهم ويكفر ويدرك. إذاً فالتفكير والفهم والإدراك هو الذي رفع شأن الإنسان الىٰ هذا الحد.

هناك طيور تطوي في ساعة واحدة عدة فراسخ، بينما الإنسان مهما تمرّن رياضياً فلن يرتفع عن الأرض أكثر من متر واحد. والأسماك تعرف المحيط كله فتجوب مياهه، وتغوص في أعماقه، بينما الإنسان إذا غطس في حوض صغير وبقي في الماء عدة دقائق فسيختنق ويغرق. والجمل يحمل أكثر من مائة كيلوغرام بسهولة، وينقلها من

٦٢ ـــــــ

وبأي وسيلة يريد الإنسان أن يرتقي الكواكب الأخرىٰ، وهو يعجز عن تسلق جدار لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثة أمتار؟

إنه العلم والفنون والمعرفة التي تمكّن الإنسان الضعيف أن يكون مقتدراً لدرجة تمكّن شخصاً واحداً من تدمير بلد في دقائق بتفجير قنبلة.

المعرفة هي التي منحت الإنسان كل هذه القدرة، وجعلته أفضل من الحيوانات.

إذاً يجب أن ننهل من المعرفة والعلوم لنكون أقوياء مقتدرين، وأقرب الىٰ الإنسانية وأبعد عن الحيوانية.

وقد نظم الفردوسي هذا شعراً:

كل عالم يضحي مقتدرا
بالمعرفة يضحي قلب العجوز شاباً[1]

والمعرفة كنز كلما غرفت منه ازدادات جواهره، ورأسمال كل إنسان معرفته التي نالها طوال عمره.

---

(١) ترجمة لبيت شعر من الشاهنامه ج١ ص١٣.

٦٤ ـــــــ

أداب العِشرة

لعِشرة الناس والتعامل معهم آداب ورسوم علىٰ كل إنسان أن يتعلمها في حياته ويعمل بها، وينبغي أن يكون التعامل مع الناس ومعاشرتهم بحيث ينخفض عدد الأعداء يوماً بعد آخر ويزداد عدد الأصدقاء. فمن يتقن التعامل مع الناس، ويعرف كيف يتصرف مع الصديق والعدو والجار والغريب والعجوز والشاب والمرأة والرجل؛ فسيكون سعيد الحظ موفقاً، وتكون حياته سعيدة وحلوة.

أول شيء علىٰ الإنسان أن يهتم به في حياته هو أن يربي الأصدقاء من حوله، فالصديق من أكبر النعم في الدنيا. وإذا أردت أن يحبك الناس عليك أن تحبهم أولاً، وتتعامل معهم بمحبة. ولا تتوقع أبداً أن يحبك أحد ما دون أن تبادره بالمحبة.

انتبه عند تعاملك مع الناس أن لا تصمّ آذانهم بشرح

همومك ومشاكلك، وإذا التقيت صديقاً فصافحه بحرارة، ولا تبعد البسمة عن شفتيك، لا تسكت بحضوره وتغوص في أفكارك، بل بادره بالسؤال عن عمله وحياته. إذا كنت قريباً منه ومن أعز أصدقائك فلا تسمّه بلقبه بل باسمه الصغير الأول، أما إذا كان أكبر منك سناً وقدراً فناده بلقبه.

فإذا كان إسم صديقك مهدي الحكيم مثلاً فناده يا مهدي ولا تناده بالسيد الحكيم. أما إذا كان مديرك اسمه باقر الراضي مثلاً فلا ينبغي لك ان تناديه بباقر، بل السيد الراضي.

لا تستصغر أبداً من هم أقل منك ثروة أو علماً أو منصباً، فذلك الأمر يشعره بالضعة ويملأه حقداً عليك، وهي علامة ضعتك وحقارتك. لذلك كن متواضعاً حسن الأخلاق، فالتواضع علامة الرفعة والسمو، والتكبر علامة الضعة.

عندما يتحدث أحد ما أكبر منك أو أصغر فلا تقاطعه، بل إصغِ إليه بدقة، وإذا كان كلامه غيرصحيح فلا تردّ عليه بشكل يؤذيه، بل راعي جانب الأدب في ذلك.

وإذا أردت أن تفهمه سقم كلامه يمكنك أن تفعل ذلك بطريقتين: إما أن تقول له: ما هذا الهراء الذي تقوله، إنه كلام فارغ لا أساس له. أو أن تقول: عذراً لكني أظن أن الأمر هكذا وليس كما أسلفت. لاحظ بنفسك أي الجوابين أقرب للأخلاق والأدب؟

عندما يسرد لك أحد قصة، وكنت مطلعاً عليها من قبل، فلا تفعل كبعض الناس، وتقطع قصته قبل أن يكمل، ولا أن تصغي بشكل يدرك معه أنك تعرف القصة، أو إذا أخطأ في بعض فصولها فلا تصحح له ذلك فيعلم أنك كنت تعرفها، وأنه كان يهدر وقتك، ويندم علىٰ سرده لها.

من العادات السيئة المنتشرة بين الناس هي إذا تحدث أحد ما انشغل آخرون بالحديث دون أن يصغوا للمتحدث، وهي قمة الإستهتار وعدم الإحترام للمتحدث، فذلك يؤذيه ويضعفه ويفتره، وهو عمل بعيد عن الأخلاق.

وعندما تجلس في جمع سوياً، فلا تسرّ لمن قربك بالنجوى، ولا تضحك معه، لأن الباقين سيظنون أنك

تتناولهم وتتحدث عنهم، والنجوى هذه أمر سيء جداً.

عليك مراعاة الأدب في اللقاءات والسفر والرحلات والمدرسة وفي كل مكان، وتتلخص آداب العشرة في عدة جمل:

أحبّ الجميع، أذِّ احترام الجميع كما ينبغي، راع الأدب، القَ الناس بابتسامة ورحابة وحرارة، احترم وإهتم بأعمال الآخرين وأقوالهم وعقائدهم؛ ليحبك الجميع ويحترموك.

لماذا يقع الواجب على الحكيم فقط؟

هل رأيت غنماً يرافق ذئباً ويسلم رأسه ورفاقه له؟ هل سمعت بطير يخدع طيراً آخر ويوقع به؟ هل يمكنك أن تعلم بقرة كيف يجب أن تسير، وكيف تعيش، وكيف تنادي؟ هل يمكنها خدمة باقي البقر أو خيانتهم؟

لا شك أن مثل هذه الأعمال لا تصدر عن الحيوانات، أما الإنسان فيمكنه أن يفعل ما يسعد الناس جميعاً أو ما يؤذيهم بل ويدمرهم. فپاستور مثلاً اكتشف الميكروب، فقضى بذلك على ملايين الأعداء الذين تسببوا بموت البشر، وعلّم الإنسان كيف يكافح الميكروب. وجنكيزخان كان بشرياً أيضاً، لكنه أباد ملايين الأبرياء

٧٠ ـــــــ

الآخرين، ويمتنع عن الوحشية والسرقة والخيانة وإيذاء الآخرين.

وهناك أناس أصابهم الجنون، وفقدوا عقولهم، فسقط عنهم التكليف، ولا ينتقدهم أحد مهما فعلوا. والأطفال الصغار هكذا يعيشون حياة معينة خلقوا لأجلها، ولا يحدد لهم عقلهم التكاليف الخاصة.

ما هو الواجب الإجتماعي؟

أحد المفكرين يقول: الإنسان حيوان اجتماعي. وهو يريد بذلك أن علامة الإنسان هي العيش مع الجماعة، فإذا توجه الىٰ الصحراء، وعاش فيها وحيداً بعيداً عن الناس؛ لم يعدّ إنساناً. فالحيوان هو الذي يفكر بنفسه أولاده فقط، دون أن يهتم لشأن سائر الحيوانات، فيعمل ويصطاد ويركض هنا وهناك ليملأ بطنه ويسدّ جوعه. أما الإنسان فليس كذلك، لا يمكنه أن يعيش وحيداً، فتقاسم الأعمال مع الآخرين، البعض يخيط الملابس، والبعض يدرّس الأولاد، والبعض إذا وقعت الحرب حملوا السلاح للقتال والدفاع عن وطنهم ويعلمون الناس شؤون دينهم، ولكل من هؤلاء مهنته المحددة والمعروفة. فعلىٰ كل إنسان أن يعمل ويقدم لمجتمعه ما يحسنه مما ينتفع به الناس والوطن.

ولا يحق لأحد ما أن يقول (وما علاقتي بذلك) في الأعمال الإجتماعية، فالمجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمىٰ. وعلىٰ كل فرد في المجتمع أن يهب لّدفع الخطر عن المجتمع وأفراده، فعندما يصاب أحد ما بالحمىٰ، ونعلم أن سبب إصابته تلك من تلوث المياه، فعلىٰ شركة المياه أن تقوم بواجبها، وعندما ندلي بأصواتنا لنائب المدينة أو مسؤول البلدية أو عضو الإتحاد والمجالس المحلية علينا أن نختار الشخص المناسب ليؤدي مهامه. هذا هو الواجب الإجتماعي الذي يملي علينا أن نخرج لندلي بصوتنا لرجل شريف صادق مشفق، لتسير الأمور بشكل صحيح، ولا ينبغي أن نقول وما علاقتنا بذلك، فإذا كنت لم تمرض حتى الآن، أو كان في بيتك ماء سالم ولم تمرض بسبب تلوث المياه، فإن إنسانيتك وأخلاقك تدفعك للإهتمام بالآخرين، لأنه إذا اهتم كل إنسان بمن حوله وآزرهم؛ فلن يضيق الأمر بأحد، ولن يعاني أحد، بل سيسير الجميع نحو الرقي والسعادة.

يقول الحكيم سعدي:

بني آدم أعضاء لبعضهم البعض
فقد خلقوا من جوهر واحد
إذا اشتكىٰ عضو من آفات الزمان
لم تستقر سائر الأعضاء
فإن كنت غاضياً عن محنة الآخرين
فلست أهلاً أن يقال لك إنسان[١]

أما إذا كنت مهتماً بشؤون الآخرين، فسيهتم الآخرون بشؤونك، فعندما تهتم بعمران مدينتك وبلدك، فستستفيد منهما لأنك تعيش فيهما. وأيما بلد يهتم كل واحد من أهله بنفسه فقط فسيكون كالصحراء التي تضم ملايين الحيوانات، ذلك لأن الإنسان هو الكائن المحب لأقرانه والذي يشاركهم ويخدمهم.

يجب أن تعود جهودك بالفائدة علىٰ المجتمع، عندئذٍ سيعطيك المجتمع أجرك. فالمجتمع كالجسد وأنت وأنا كاليد التي تحمل الطعام لا لتأكله هي، بل لتوصله الىٰ

(١) ترجمة لأشعار فارسية لسعدي، گلستان، ص٦٦.

الفم لينقله الىٰ البدن، ثم لتستفيد منه جميع أعضاء البدن، وتنال اليد حصتها من خلال البدن.

وعلينا نحن أيضاً أن نعمل من أجل الآخرين، لننال أجر عملنا من الآخرين.

زرعوا فأكلنا، فلنزرع ليأكلوا
تأمل فكلنا يقدم للآخر[١]

(١) ترجمة لبيت شعر فارسي.

التضحية والفداء

الحياة محبوبة، وينبغي أن يسعىٰ الإنسان لتكون حياته يوماً بعد يوم أفضل فأفضل، ليعيش براحة وسرور، يستفيد من نعم هذه الدنيا ويلتذ بها. لكن قد يأتي اليوم الذي يتطلب من الإنسان يبيع شرفه وكرامته لأجل أن يعيش ويحصل علىٰ المال الكافي للعيش في حياة هادئة ومنزل جيد وطعام لذيذ وإسم وجاه.

وقد يأتي وقت يهاجم فيه العدو وطننا، وتسيطر القوات الأجنبية علىٰ بلادنا، ونضطر أن نرضخ لسلطتهم ونخضع لإرادتهم ونرضىٰ بالذل والهوان من أجل المحافظة علىٰ الحياة براحة والنوم بهدوء.

وقد نتربىٰ في ظل دين وعقيدة وعقلية تجعل منّا أناس لا دين لهم ومتهتكين، كل ذلك من أجل أن يتحكم فينا أولياء ذلك الدين وتلك العقيدة أو يفرضوا علينا

عقيدتهم، فنضطر أن نبيعهم ديننا ونتخلى لهم عن عقيدتنا وإيماننا من أجل أن نعيش أو أن يؤمن لنا العدو معيشتنا.

في هذه الحالات علينا أن نتخلى عن الحياة مهما كانت جميلة ولذيذة ومريحة، وأن نقدم أرواحنا وأنفسنا العزيزة ونضحي بها، لنحافظ بذلك علىٰ شرفنا ووطننا ودیننا، لأن الشرف والدين أسمىٰ من الحياة، ولأن الحياة لا قيمة لها بدون الشرف والدين عند محبي الأوطان وعباد الله والشرفاء، مهما كانوا يمتلكون من أموال وبيوت وسيارات وأملاك وثروات. فعندما يشعرون أن عليهم التخلي عن شرفهم وعقيدتهم ليعيشوا، لكنهم يتخلون عن الحياة ويقدمون التضحيات حتى تزهق أنفسهم. وقد تحدث الله سبحانه وتعالىٰ عنهم في القرآن فقال: ﴿**ولا تحسبنَّ الذينَ قتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربّهم يرزقونَ**﴾ (آل عمران/ ١٦٩).

فأفضل الناس هم الذين يقدمون أنفسهم في سبيل الله والوطن والدين والشرف والكرامة، وكل بلد يفخر بوجود مثل هؤلاء بين أبنائه. وكما ذكر الإمام الحسين عليه السلام إذا كانت الأبدان للموت أوجدت، فموت

الفتىٰ بالسيف في الله أفضل. وقال ايضاً لقد خط الموت علىٰ ابن آدم مخط القلادة علىٰ جيد الفتاة.

وقال الفردوسي:

الموت عندي خير من أن أعيش
عبداً، ولكن بالموت أكن حراً
وأن نقتل كلنا دون باقٍ
خير من أن نعطي البلاد عدواً

الموت بشرف ألف مرة أفضل من الحياة بذل، والتضحية من أجل الدين أفضل التضحيات البشرية، فها هو العباس بن علي عليه السلام ينشد عند قطع يده في سبيل دينه:

والله إن قطعتمو يميني
إني أحامي أبداً عن ديني

وقال سيده الحسين عليه السلام:

إن كان دين محمد لن يستقم
إلا بقتلي فيا سيوف خذيني

وعندما سُحب أحد العظماء وكان له منصب هام في

البلد، فسحب الىٰ ساحة الإعدام، ووقف الناس في الأطراف يحدقون به، فوقع نظره على زوجته، فرفع قبعته وحيّاها مودعاً، فنادته زوجته من بين الجموع: يا زوجي إن المنزلة التي نلتها اليوم خير عندي من كل مناصبك السابقة.

فما أجمل أن يتخبط الإنسان بدمه من أجل دينه ووطنه وإيمانه، وما أحقر أن يبيع الإنسان شرفه ووطنه ليعيش بعارٍ وهوان.

٨٠ ـــــــ

لعمّ الظلم وضاع الحق، ولا نقض الناس علىٰ بعضهم البعض كالوحوش.

ومن لا يحترم القوانين فقد ارتكب أكبر خيانة وذنب، وعلىٰ الجميع معاقبة مخالف القانون الخائن.

فعندما تدرس وتعيش وتكسب المال وتؤمن به معيشتك، وتنام الليل في بيتك دون خوف، وتسير في الشوارع باطمئنان، فإن كل ذلك من نعم القانون.

لذلك قيل: القانون السيء خير من عدمه، لأن العدل والنظام والترتيب والتقدم والرقي لا يكون إلاً في ظل القانون، ولا يمكن العيش في مجتمع لا يحترم فيه القانون.

٨٢ ـــــــ

فكونوا أحراراً في دنياكم».

ولكن ما اكبرها من أنانية وخسة أن يطلب الإنسان الحرية لنفسه فقط، ولا همّ له بالآخرين. فنحن عندما نكرّم شخصيات مثل جان دارك، وواشنطن، وستارخان، وغاندي وغيرهم فإننا نعزّهم لأنهم سعوا لكسب الحرية لشعوبهم، وليس لأنفسهم فقط، فعاشوا لسنوات طويلة في زنزانات السجون، وفقدوا حريتهم بل وأرواحهم ليهبوا الحرية للآخرين، ولو كانوا يناضلون من أجل حريتهم الشخصية لما كانت لهم كل تلك القيمة والمكانة، لذلك عرّفوا الحرية فقالوا: إن حدود الحرية تنتهي حيث تضر بحرية الآخرين. فأنت حر لتفكر كما تشاء وتقول ما تشاء وتعمل ما تشاء وتدرس ما تشاء، شرط أن لا تمنع بذلك الآخرين من التفكير والعمل والدرس.

وإن كانت الحرية جميلة فهي ليست كذلك لشخص محدد، بل للجميع. ولا ينبغي منح هذه النعمة الكبرىٰ لشخص واحد وإذا كان هناك من يضر بحرية الآخرين فينبغي سلبه حريته تلك.

٨٤ ـــــــ

يتمكن من سداد دينه لك.

فالله عادل، لكنه محسن. ولو عاملنا بعدله دون أن يعفو عن أي ذنب نرتكبه، فإن عدالته تقضي بتعذيبنا. والعدالة تقول أن الرجل الشريف والمتقي إذا كان قد ارتكب في شبابه معصية فلابد أن يعاقب عليها، لكن الإنصاف يقول ينبغي العفو عن خطئه ذاك، لأنه أصبح رجلاً محسناً وشريفاً.

إذا كنت منصفاً فعليك أن تساعد من يستحق المساعدة، وأن تعطيه حقه فليس ذلك إنصافاً، إنه العدل الذي يجبرك أن تعطي كل ذي حق حقه. في حين أن الإنصاف يقول لك إعطِ الآخرين من حقك برضاك، ليكون الجميع رحماء فيما بينهم، وليتم جبران مشاكل البعض وقت معيشتهم. وإذا ما ابتليت يوماً ما فلعل الذين أحسنت إليهم يهبوا لمساعدتك، وعندما يكون أفراد المجتمع منصفين لبعضهم البعض عندئذٍ تصبح حياتهم سعيدة وجميلة، ويسير المجتمع نحو الرقيّ والتقدم والإزدهار، دون أن يكون فيه مسكين أو محتاج.

العالم يعمر بالإنصاف

والفرح تنثره قلوب المنصفين

لا تنكث بعهدك مازلت حياً

كان رسول الإسلام ﷺ يعفو عن أعدائه، ويسامح الذين كانوا يريدون سفك دمه، لكنه تصرف بقسوة شديدة مع القبيلة التي نكثت بعهدها معه. كانت هناك قبيلة من اليهود قرب المدينة، وعقدت هذه القبيلة اليهودية عهداً مع المسلمين أن لا تعاديهم ولا تخونهم، لكنها خلال معركة الخندق نكثت بعهدها وتحالفت مع المشركين واستعدت لقتال المسلمين والقضاء عليهم. ثم انتصر المسلمون في المعركة، فأمر النبي أن يعاقبوا علىٰ خيانتهم تلك بأن تحفر آبار، وأن تقطع رؤوس جميع رجالهم وترمىٰ في البئر، وأن تصادر أموالهم.

هذه القسوة أرادت أن تفهم الناس جميعاً مدىٰ تعارض الخيانة والنكث بالعهود مع الأخلاق والشرف والمروءة. وأن علىٰ الرجل الشريف أن يفي بعهده مهما

كلفه ذلك من أضرار، بل حتى لو كلفه ذلك حياته.

ومن يفي بعهده يكن كريماً ومحترماً في قومه ومجتمعه، ويثق الجميع بكلامه وفعله، وهذا أسمىٰ شرف للإنسان.

قال الشاعر سنائي:

لاتنظر الىٰ فنون الرجل
بل أنظر إلىٰ وفائه بالعهد
فإن وجدته ناكثاً للعهد
فقد تجد فيه كل خبث وترد

والإسلام اعتبر نكث العهود من الكبائر، فقال الله تعالى في كتابه: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئوولا**﴾ (الإسراء/ ٣٤). واعتبر الإسلام أن من علامات المؤمن الوفاء بالعهد.

الوعد والتوقيع

لقد وعدت . . لقد وقّعت .

عندما تُسمع هاتين الجملتين من رجل صاحب وجدان أخلاقي وشريف فإن قيمتهما تفوق ألف عقد ووثيقة وسند ورهن، فإذا قال رجل شريف إني أعد بكذا، فهذا يعني أنني سأفي بذلك حتى لو كلفني حياتي .

نجد في التاريخ بعض أمثال أولئك الرجال الذين ضحوا بأرواحهم حفاظاً علىٰ الوعد والتوقيع، وعندما نقرأ سيرتهم فإننا نمجدهم ونمتلىء سروراً وحبوراً .

أحد الشبان الشجعان كان قد قتل رجلاً آخر، فشكت زوجة المقتول وابنه ذلك الىٰ الخليفة وطالبا بقتل القاتل، وانهما لن يسكتا عن حقهما إلاَّ بالإقتصاص منه وسفك دمه . فألقيَ القبض على الشاب القاتل، وأحضر

الىٰ الخليفة، فأصدر الخليفة أمره بقتله. فقال له الشاب: إن طفلاً يتيماً أودع عندي، فاسمح لي أن أذهب وأجهز ثروته وأودعها عند أحد يهتم به من بعدي، ثم أعود.

فقال الخليفة من يضمنه؟ فلم يضمنه أحد، فقام الصحابي الجليل أبوذر الغفاري صاحب رسول الله ﷺ وضمنه. فذهب الشاب وتأخر، وأصرَّ ذوي المقتول علىٰ حقهم، واستيقن الجميع أن الشاب قد هرب. فأعد أبوذر نفسه للقتل عوضاً عن الشاب الذي ضمنه، وقبل تنفيذ الحكم ظهر الشاب وهو يلهث، وأعد نفسه للقتل، فتأثر الجميع بشجاعته وحفظه للوعد، فطلبوا من الخليفة العفو عنه، فأعلن الخليفة عن استعداده لدفع دية المقتول، لكن ذوي المقتول عفو عنه ولم يأخذوا الدية.

تأمل جيداً لو أن هذا الشاب فرّ ولم يعد، ولم يفِ بوعده لأبي ذر بالعودة، وقتل أبوذر لأنه صدّقه وضمنه؛ كم كنت تنفر من ذلك الشاب ومن فعله، وكم كنت تلعنه لعدم رؤيته، وكان ذكره مقرون دوماً بالعار. لكنه وفىٰ بوعده، فنجىٰ بنفسه، ونال الكرامة والإحترام في التاريخ.

٩٠ ـــــــ

فتعلم يعقوب ذلك القائد القوي والمحارب من صبر هذه النملة الصغيرة الضعيفة وثباتها واستقامتها أن عليه أن لا يكل ويضعف أمام أول هزيمة تواجهه، فقال إن عليَّ أن أعيد المحاولة حتى لو هزمت ألف مرة، فلعلّي أفوز وانتصر في المرة الواحدة بعد الألف لئلا أكون أقل ثباتاً واستقامة من هذه النملة.

ولو كانت تلك النملة تضجر من التعب وتحبط وتصاب باليأس لما استطاعت أبداً أن تصل بحبة القمح الىٰ بيتها، ولبقيت جائعة في الشتاء وماتت، فلماذا أحبط وأصاب باليأس بسبب هزيمتي الأولىٰ.

فنهض من مكانه وتابع هدفه بأمل كبير بالنصر، فأعاد تشكيل قوته وحارب حتى انتصر وحرر بلده.

فإذا أردت أن تقوم بأمر ما عليك أولاً أن تفكر فيه ملياً، ثم تبدأ به، لكن لا تعجل لإتمامه، بل تحرك بصبر وأناة، ولا تصرف كل طاقتك علىٰ المحاولة الأولىٰ، بل تابعه شيئاً فشيئاً بهدوء وأناة لكن باستمرار ودوام حتى تنجزه.

٩٢ ـــــــ

العمل حياة والضعف موت

علامة الحياة العمل، فليس في الدنيا شيء ساكن لا يعمل. فالأرض والكواكب تدور حول الشمس دوماً، والشمس تؤدي مهمتها باستمرار دون توقف. والحيوانات كلها في حركة ونشاط، والنباتات لا تتوقف عن عملها أبداً. حتى الصخور والأتربة قد تظن أنها ساكنة دون حراك، لكن ذراتها تتحرك بسرعة فائقة لا يمكنك تصورها وهي تمارس عملها. ولو توقفت الأرض لدقيقة واحدة عن الدوران لحل الدمار بالعالم كله، فكل ما هو موجود في هذه الدنيا قد كلف بالقيام بعمل ما، ولا يكلّون عن عملهم ولا للحظة، ذلك لأن الحياة تعني السعي والعمل والتحرّك.

أنظر الىٰ الطفل تجده في حركة دائمة، يلعب ويسعىٰ ويركض الىٰ هنا وهناك، لا يهدأ ولا يكلّ، في

٩٤ ـــــــ

غنية كانوا يعدّون لأبنائهم أحذية خشبية مستديرة، فكانت تشل أقدام أبنائهم حتى إذا كبروا عجزوا عن السير، فيوضعون في عربات خاصة ليجرهم عدة عبيد أو خدم ليسيروا بهم في الشوارع ليدرك المارة أن هذا المشلول من الأعيان.

تلك كانت أفكار المتوحشين، في حين أن الناس المعاصرين الذين تلقوا التربية والحضارة يعتبرون العمل فخراً وعزاً، وأن الخبز إذا لم يكتسب بالجد والعمل فليس شريفاً وحلالاً.

سقراط الفيلسوف الكبير يقول: (العمل رأسمال السعادة والهناء).

إذهب واعمل ولا تقل ماهو العمل
فسُّر الخلود هو العمل[1]

فالراحة الزائدة والكسل والتسكع علامة الضعف والموت، علينا أن نعمل ونعمل، وأن نفخر بالعمل لنعيش شرفاء.

---

(١) ترجمة بيت للشاعر بهار ملك الشعراء، ديوانه ص١١٠٨.

الوقت أثمن من الذهب

يقول الأوروبيون أن الوقت من ذهب، لكن الحقيقة هي أن الوقت أثمن من الذهب كثيراً، لأنه عندما يكون هناك وقت يمكننا الحصول علىٰ الذهب، لكن عندما يذهب الوقت فلا يمكننا استعادته بالذهب. فمنذ أن وجد العالم وحتى يفنىٰ وينتهي سنتواجد في هذا العالم مرة واحدة فقط، يسمح لنا بالبقاء في هذه الحياة ستين عاماً تقريباً، نقضي منها عشرين عاماً في النوم، والنوم كالموت أيضاً، فيبقىٰ لنا أربعين عاماً فقط، نقضي منها ١٥ عاماً في تناول الطعام والاستراحة واللهو، فيبقىٰ لنا في الحقيقة ٢٥ عاماً فقط. لذلك تأمل قلة الوقت المتاح لنا، وكم هي قيمة هذا الوقت، إنها أغلىٰ وأثمن من الذهب حتماً، وكل دقيقة تذهب فإنها لن تعود، وقد فقدناها الىٰ الأبد، واقتربنا بنفس المقدار نحو الموت.

تأمل كم تقضي من هذا الوقت الثمين في التسكع والبطالة واللهو دون أن تجني له ثمناً وفائدة ولا تغتنمه في تعلم الأخلاق وبناء شخصية الإنسان الحقيقية، فتخسر بذلك رأسمال حياتك الثمين. جلسنا سوياً لسنوات متمادية نتحدث هباءاً ومزاحاً وضحكاً دون هوادة، نمنا الكثير، تسلينا ومرحنا الكثير، سافرنا وسحنا الكثير، فهدرنا وقتنا الثمين علىٰ مثل هذه الأعمال التي لا طائل منها، سائرين نحو الشيخوخة والموت.

فمنذ اللحظة الأولىٰ لخروجنا الىٰ هذه الدنيا بدأنا مسيرتنا السريعة نحو الموت مع كل لحظة، وها هي دقات الساعة تقول لنا أنتم تسيرون نحو الشيخوخة وستلاقون الموت حتماً، فأسرعوا واستغلوا الوقت ولا تهدوره في مالا ينفع، بل جدوا في العمل المفيد الباقي.

الأمر الوحيد الأثمن من الوقت هي الأخلاق والمعرفة، فمن يصرف وقته في تعلم المعارف وتلقي الأخلاق يربح الوقت. وأي عمل آخر لا يساوي إتلاف الوقت، علينا أن نكون بخلاء جداً في صرف الوقت، أن نكون حريصين علىٰ صرفه في العمل المفيد. ولا يمكننا

الإدعاء بأننا صرفنا وقتنا واستفدنا إلاً إذا كان في خدمة الناس وعبادة الله واكتساب الأخلاق الحميدة والعلوم المفيدة.

الزمالة والعشرة

خـالـط ذوي الأخـلاق والـشـرف
ليكـن طـبـعـك خـلـوقـاً مـشـرّفـاً

إذا نـبـتـت وردة فـي حـقـل مـن الأعـلاف والـشـوك الكثيف فستنخبو شيئاً فشيئاً وتموت، لذلك تجد الفلاح ينظف أرضه من كل نبتة غير مفيدة ويعتبرها مضرّة. والإنسان كالوردة إذا جالس العلماء والمفكرين وذوي الأخلاق الحميدة فستكون أخلاقه أفضل وعلمه أكثر.

في مدينة (شيراز) هناك تراب خاص يستخدمه الناس في الحمامات العامة عوضاً عن الصابون، ودخل الشاعر سعدي الىٰ الحمام العام، فأعطاه أحد أصدقائه شيئاً من ذلك التراب ليستحم به، وبقية القصة اسمعها من سعدي حيث يقول شعراً ما ترجمته نثراً.

أعطيت طيناً ذا رائحة زكية في الحمام، أعطانيه صديق

١٠٠ ـــــــ

الفهرس

مقدمة الناشر ٥
مقدمة التعريب ٩
ما هي الأخلاق؟ ١١
علم الأخلاق: ١٣
ما هو الواجب الأخلاقي ١٤
ماذا فعل الوالد؟ ٢١
حب الوطن ٢٣
كيف نتعامل مع التابعين لنا؟ ٢٦
التقوىٰ ٢٨
حفظ السر وكتمانه ٣١

١٠٢ ـــــــ

التضحية والفداء ٧٦
إطاعة القوانين ٨٠
حرية الآخرين ٨٢
الإنصاف ٨٤
لا تنكث بعهدك مازلت حياً ٨٦
الوعد والتوقيع ٨٨
الثبات والإستقامة ٩٠
العمل حياة والضعف موت ٩٣
الوقت أثمن من الذهب ٩٦
الزمالة والعشرة ٩٩